الفصل الأول
محمد لطفى جمعه محاميا

—

١ـ النشـأة :

ولد محمد لطفى جمعه فى ١٨ يناير سنة ١٨٨٦ بمدينة الإسكندرية وتلقى العلم أول ما تلقاه فى أحد الكتاتيب الريفية ثم دخل إحدى المدارس الابتدائية وحضر بعض دروس العلم على الشيخ محمد عبده بالجامع الأحمدى بطنطا ، وحصل على شهادة الدراسة الابتدائية سنة ١٩٠٠ ثم انتقل إلى القاهرة حيث التحق بالمدرسة الخديوية ، وخلال هذه المرحلة انضم إلى الحزب الوطنى الذى ألفه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ كما تعرف بالشيخ محمد عبده فى السنوات الأخيرة قبل وفاة الإمام ، وكانت بينهما مكاتبات طويلة أثبتها الشيخ محمد رشيد رضا فى كتابه عن تاريخ المفتى[١] .

وبالنظر إلى اشتغال لطفى جمعه بالأمور السياسية فقد كان هدفا لعداء ناظر المدرسة وأساتذتها الإنجليز ، فأخذوا ينظرون إليه بعين الارتياب ويضطهدونه ويترصدون ندواته الخطابية التى كان يعقدها مع لفيف من طلبة المدرسة مما ترتب عليه رسوبه فى الامتحان ، فسافر سنة ١٩٠٤ إلى الشام لإتمام دراسته الثانوية ، إلا أنه لم يطلْ به المقام فعاد إلى أرض الوطن واشتغل بالتدريس حينا من الزمن ثم لم يلبث أن قدم استقالته وعمل محرراً بجريدة اللواء لسان الحزب الوطنى ، إلا أن المرحوم مصطفى كامل نصحه بمواصلة الدراسة والالتحاق بمدرسة الحقوق ، فصح منه العزم على الحصول على شهادة البكالوريا ، وتقدم إلى الامتحان من منازلهم سنة ١٩٠٧ فنجح والتحق بمدرسة الحقوق الخديوية .

---

(١) انظر هذه الرسائل فى كتاب " حوار المفكرين ، رسائل أعلام العصر إلى محمد لطفى جمعه خلال نصف قرن (١٩٠٤ - ١٩٥٣) ص ٦١-٦٨ ، عالم الكتب ٢٠٠٠ م.

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE.

Diplôme de Licencié en Droit.

Le Ministre de l'Instruction publique,

Vu le Certificat d'aptitude au grade de Licencié en Droit accordé le 20 Juillet 1910
par la Faculté de Droit de Lyon, Académie de Lyon,
au Sieur Gonnard Mohamed Salih, né à Alexandrie,
département (Egypte), le 18 Janvier 1886;

Vu l'approbation donnée à ce Certificat par le Recteur de l'Académie de Lyon, en exécution du décret du 21 juillet 1897;

Donne, par les présentes, audit Sieur Gonnard le Diplôme de Licencié en Droit, pour en jouir avec les droits et prérogatives qui y sont attachés par les lois, décrets et règlements.

Matières à option sur lesquelles le candidat a été interrogé : 1° Droit d'exécution. 2° Droit commercial.

Fait à Paris, au Ministère de l'Instruction publique, le 30 Septembre 1912.

Pour expédition conforme :
Le Directeur de l'Enseignement supérieur,
Conseiller d'État,

Le Ministre de l'Instruction publique,
Signé : Gaston Doumergue

Enregistré au Bureau de l'Enseignement supérieur, le 1912.

Signature du Titulaire :

N° 1942.

شهادة حصول لطفى جمعه على الليسانس فى القانون فى ٣٠ سبتمبر سنه ١٩١٢

من كلية الحقوق بليون

وفى سنة ١٩٠٨ توفى مصطفى كامل وأقيم له بمناسبة ذكرى الأربعين حفل تأبينى بمدرسة الحقوق خطب فيه لطفى جمعه خطبة أقلقت بال الإنجليز وعلى رأسهم دنلوب وزير المعارف حينذاك والمستر هيل ناظر المدرسة الإنجليزى مما أدى إلى رفته من المدرسة نهائياً ، فشد الرحال إلى فرنسا سنة ١٩٠٨ حيث التحق بكلية الحقوق بجامعة ليون على عهد عميدها إدوارد لامبير ، وهناك قسم وقته وجهده بين تحصيل العلم وبين خدمة الوطن والكفاح السياسى ومحاربة السياسة الإنجليزية بالوسائل المشروعة وقتها وهى الخطابة والكتابة فى الصحف والدعوة إلى المؤتمرات الوطنية لشرح القضية المصرية ، فشارك بقلمه ولسانه وماله فى هذه المؤتمرات التى عقدها الحزب الوطنى برئاسة محمد فريد فى جنيف سنة ١٩٠٨ وباريس سنة ١٩٠٩ وبروكسل ١٩١٠ .

وفى سنة ١٩١٢ حصل لطفى جمعه على إجازة الحقوق وبدأ بعد رسالة Thèse عن دستور المدينة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم لنيل درجة الدكتوراه تحت إشراف أستاذه إدوارد لامبير . ثم عاد إلى أرض الوطن حيث بدأ عهده بالمحاماة [١].

٢ - حديث عن الاشتغال بالمحاماة :

كتب لطفى جمعه فى مذكراته يقول[٢] :

---

(١) للوقوف على مزيد من التفاصيل عن حياة لطفى جمعه يرجع إلى كتاب " محمد لطفى جمعه " لرابح لطفى جمعه ، رقم ٥ من سلسلة الأعلام ، سنة ١٩٧٥ ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢) شاهد على العصر ، مذكرات محمد لطفى جمعه ، ج ١ ، ص ٢٩٩-٣١٨ ، من سلسلة تاريخ المصريين ، رقم ١٨٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٠ م.

" لما كنت فى باريس سنة ١٩١٠ مع أصدقائى ورفاقى فى الحركة الوطنية لنعد معدات مؤتمر باريس الذى عقد فى بروكسل فى أواسط سبتمبر من تلك السنة ، جرى بينى وبين المرحوم أحمد لطفى بك أول حديث عن المحاماة ، وكان المرحوم حسن العشرة جم الأدب ، ناعم الملمس ، قلت له : كيف يكون حالى إذا عدت إلى مصر لأشتغل بالمحاماة ؟ ، قال " هذا من أبسط الأمور ، فما عليك لدى عودتك إلا أن تقابلنى فأرشدك إلى امتحان المعادلة ، وبعد أن تجوز هذا الامتحان بكل بساطة وسهولة تعمل معى فى مكتبى مع أخى وهو يعرفك جيدا ويحبك ٠٠ فشكرت الأستاذ كثيرا وأمنت بقوله واعتقدت لفرط حبى له وثقتى به أن هذا الأمر من السهولة والبساطة حيث وصفه ٠

ثم قابلت المرحوم إسماعيل الشيمى بك فى باريس ٠٠٠ وكان خفيف الروح ظريفا لا تمل عشرته فسألته عن المحاماة فقال لى : إياك والاشتغال بها أمام المحاكم المختلطة ، فإننى كنت بها قاضياً ولا أزال أمامها محامياً ولكننا نحن المصريين سنبقى بها مستأصلين من جذورنا ٠ قلت " لماذا ؟ قال : لأن كل متقاضٍ أجنبى يثق فى محام من أبناء جلدته ٠ قلت : هذا حسن ، وحينئذ يأتى لنا المتقاضون المصريون ٠ فقهقه الأستاذ طويلا حتى بانت نواجذه وبرز أنفه الأقنى وكاد يقفز من فرط سروره لوقوعى فى هذا الخطأ ثم قال : ياعزيزى جمعه ! يا حبذا لو كان الأمر كما ذكرت إذن لصرنا أكبر المحامين لكثرة الموكلين ، ولكن المدهش أن الفلاح المصرى نفسه لا يثق بالمحامى المصرى أمام المحاكم المختلطة ويقول لا يرتاح الخواجات إلا إلى خواجة ولا يفهم كلام الخواجة إلا الخواجات قلت : عجيب ! حينئذ ليس أمامنا إلا المحاكم الأهلية قال : نعم ! ولا يمكنك الجمع بين المرافعة أمام المحكمتين الأهلية والمختلطة إلا إذا كنت مدرباً على عشرة الضرائر ، وقهقه من جديد ٠

ولقيت المرحوم الأستاذ محمود عبد اللطيف بباريس وتكلمنا عن المحاماة ملياً وقال لى هو أيضا إنه يودّ من صميم قلبه أن يعيننى فى بداية عملى

بأفكاره وخبرته ، وكان الأستاذ محمود أبو النصر بك ممن لقيتهم أيضا فى ليون سنة ١٩٠٩ .

إن جميع كبار المحامين الذين عرفتهم فى مصر وفى أوربا وصادقونى وتطوعوا بوعود شتى خاصة بعملى فى المستقبل أى بعد عودتى من اتمام الدراسة ، قابلتهم فى مصر بعد قيد اسمى فى جدول المحامين ، وطلبت اليهم الوفاء بوعودهم فاعتذروا جميعا ماعدا اثنين هما المرحوم حسن صبرى باشا والمرحوم إسكندر عمون ، فإن الأول اعتذر عذراً جميلا والثانى استقبلنى مسرورا وأشركنى فى عمله بعقد كريم .

٣- لماذا لا تعمل فى النيابة ؟

ويمضى لطفى جمعة فى مذكراته عن بدء اشتغاله بالمحاماة فيقول :

" كان المرحوم عبد الخالق ثروت باشا - قبل قيد اسمى فى جدول المحامين - قد عرض على وظيفة فى النيابة العمومية وكان إذ ذاك نائباً عاماً فاعتذرت ، كنت حديث العهد جدا بالعودة من أوربا وأفكارى السياسية معروفة من المؤتمرات والخطب ومن جريدة صوت الشعب وإيجبت اللتين أنشأتهما بجنيف ، فدهشت من عرضه على وظيفة فى الحكومة وظننت أن فى الأمر وسيلة لانضوائى وانضمامى إلى خدمة من كنت أنتقد ، فكبر الأمر فى نفسى وطلبت منه إمهالى بضعة أيام للتفكير ، وخرجت مصمماً على الرفض .

وقلّبت الأمر على أوجهه وقلت إننى لم أنتو الوظيفة وإلا ما سلكت مسلك الحرية السياسية ، وإن الحزب الذى أنتمى إليه كان ما يزال على قيد الحياة وإننى قيدت اسمى فى المحكمة المختلطة فماذا أقول لنفسى لو قبلت وظيفة بعد هذا الماضى القريب الذى لم أجامل فيه أحداً من أهل السلطة ، فهل كنت خادعا أو مخدوعا ، وهل أكذب على نفسى بنفسى وأعرضها للقيل والقال ،

وهل اتخذت الرأى المعارض لأتمكن من دخول الحكومة من باب الانقلاب على حزبى وتطليق مبدأى ... ؟ ولو دخلت الوظيفة لكان انتصاراً كبيرا للذين اتهموا الحزب الوطنى بالطيش والرعونة والتهويش ، ثم ماذا أقول لأصدقائى وأهلى وأصدقائى الأوروبيين أمثال بلنت ولامبير ، وهل عجزت عن الكسب من المحاماة التى خرجت أمثال الهلباوى وأبى شادى وأحمد لطفى وهم أصدقائى على فوارق السن وقد وعدونى فى جنيف وباريس وبروكسل وليون كما وعدنى أحمد عبد اللطيف ومحمود أبو النصر وعثمان محمد ومحمد عبد الوهاب فى باريس وروما بأن يسهلوا لى خطواتى الأولى فى المحاماة ، وقد استعددت لهذه الصناعة وأحببت فيها نصرة الضعفاء والأخذ بيد المهضومين والمظلومين ؟

ولنفرض أن لدىّ مواهب كما يزعم الناس ، فإذا كان فى صف الحكومة أرباب مواهب معروفة يخدمون السلطة الحاكمة فلم لا يكون فى صف الأمة أرباب مواهب يخدمون الأمة المحكومة ؟

لقد كان فى الوظيفة التى عرضها علىّ ثروت باشا الأمن والضمان والمعاش وراحة البال وأبهة الحكم وتحيات الحجاب والشرطة وألقاب الشرف وشمخة السلطة وفسحة الأمل فى الترقى وصحة البدن وفرصة الزواج من بيوت الكبراء الذين يفضلون أصغر موظف على أكبر محام ، والإجازة السنوية برزق جار وحفظ مستقبل النسل إذا أتى ، وكنت أقدر ذلك كله وأفهمه وأزنه غير أن المنطق كان على العكس من هذا كله ، وكان عمرى إذ ذاك خمساً وعشرين سنة وكنت محامياً فى المختلط على وشك أن أصير محامياً أهلياً ، وقرأت ودرست واختبرت وكتبت وخطبت وطبعت ونشرت وخضت غمار السياسة والاجتماع ، فلم أكن غرا ولا طائشاً ولا عمياً عن المنافع المادية ، وأعلم أن أصغر موظف محاط بضمانات أبدية ، وأكبر عامل حر محاط بالمخاطر والأشواك ، ومع هذه كلها صممت على الرفض .

٤- هل فكرت أيها الشاب ؟

ودخلت على الرجل الكبير فى مكتبه وحييته فقال لى : أهلا وسهلا إن شاء الله تكون صممت ٠ وأخذ يدى بين يديه بما يدل على العطف والتشجيع فقلت له ولعلنى كنت ممتقعا :

- نعم يا سعادة الباشا صممت على أن أخبرك بعجزى عن شكرك وعرفان جميلك وعدم نسيان يدك الكريمة وصممت على أن أشتغل محامياً ٠

فامتعض الرجل واعتدل فى مقعده وحوّله عنى قليلا ثم طلب لى قهوة وقدم لى سيجارة فاعتذرت عن التدخين فأشعل هو سيجارته وقال لى :

- هل فكرت أيها الشاب (كذا) فيما عزمت عليه ؟ وهل صممت على رفض ما أشرت به عليك ؟ لم يدفعنى إليه إلا حنانى والضنّ بك ٠

قلت :

- نعم فكرت

قال مغضباً وهو يبتسم فأدهشنى :

- وهو كذلك أتمنّى لك مستقبلا سعيدا

ونهض لتحيتى ، فلما اتجهت نحو الباب قالى لى :

- اسمع إن قيد اسمك لا يمنعك فى المستقبل القريب إن أردت أن تعود إلى رأيى

فقلت : يفعل الله ما يريد ٠

٥ - بين تقديم الطلب وقيد الاسم بجدول المحامين :

كنت فى الفترة الواقعة بين تقديم الطلب وقيد الاسم بجدول المحامين أتردد للسؤال عن النتيجة على سكرتير محكمة الاستئناف ، فيلقانى بالابتسام والإكرام الأستاذ رزق ميخائيل بك ، ولما أنست إليه كان يسالنى من طرف خفى

مثل السؤال الآتى : لماذا لا تدخل النيابة ؟ لماذا لا تقبل وظيفة فى الحكومة ؟ ولماذا لا تبدأ عملك فى المحاماة فى إحدى مدن الريف مثل طنطا أو أسيوط ؟ فكنت أجاوبه أجوبة سطحية وأنا أعلم صداقته وإخلاصه وأضمر فى نفسى العجب من أسئلته وأردّد فى أعماق نفسى : كيف يعرض علىّ العمل فى الحكومة وأنا خارج من مؤتمرات سياسية كل أعمالها انتقاد لأعمال الحكومة والمطالبة بحقوق الأمة ؟ كيف أكون فى طليعة المشتغلين بالحركة الوطنية منذ تنبّهت للحياة وأعود اليوم بمجرد حصولى على إجازة الحقوق أطلب وظيفة ميرى فى النيابة والقضاء ؟ وكان رزق بك – جزاه الله خيراً – يلمح لى بأن الجهات المختصة ترحّب بى وأنها تضرب صفحاً عن الماضى وتود الانتفاع بى فى خدمة القانون ، وأخيرا أجبته بالصراحة التامة فقلت له : قد أكون مرغوباً فىّ لما يظن بى من الكفاية وأنا أنكرها ، ولو فرضنا أننى ذو كفاية فلماذا لاتكون فى صف الشعب ... ؟ إن فى الحكومة كثيرين من أصدقائى ورفقاء شبابى القادرين العلماء ، ولابد من حدوث التوازن بين القوتين ، فيكون للحكومة رجالها ويكون للشعب رجاله .

فلما يئس رزق بك لما اعتبره نصحاً لى يمليه الإخلاص وحب الخير ، حاول تحويل عزمى عن القاهرة وقال إن فى المدن الكبرى مثل طنطا وأسيوط مجالاً عظيماً لمثلك ، ويمكنك أن تقيم هناك حتى يشتد عودك وتنمو قوتك وتملك الوقوف على قدميك وأقصد بذلك حتى تجمع ثروة حسنة .

فذكرت له الوسط العلمى والوسط العقلى والاتصال بالأدباء ووجود فطاحل المحامين فى القاهرة وإن كنت لا أنكر أن فى الأرياف رجالا لا يقلون فضلا وعلما وشهرة عن مشاهير القاهرة ، فلما سمع رزق بك منى هذا وذاك ، هزّ رأسه وأيقن أنه لابد لى من خبط الجدار حتى أفيق من غشيتى ، وكنت ثملا بخمر البذل والتضحية فى سبيل المنفعة العامة ، التضحية بالمنصب والمال وأقول لنفسى إذا كان كل من أرى من العلماء والفضلاء فى صف الحكومة فمن

يكون للضعفاء يدفع عنهم غوائل الحوادث ويرد عنهم كد الزمان وأية وسيلة أقرب وأفضل من المحاماة ، ففى حظيرة هذه الصنعة الكريمة الشريفة يمكن أن أكتب وأخطب وأدعو للخير والحق والحرية وأخدم العاجز واليتيم والأرامل والفقيرات ، وهذا الجانب البراق اللماع الذى يخلب اللب ويخطف بالأبصار هو الذى استهوانى وجذبنى واستمالنى ولم يكن لذلاقة اللسان أو حضور البديهة أو سعة العلم والاطلاع والاستعداد الفطرى لممارسة هذه الصنعة أقل أثر فى إقناعى ، لأننى خلو من تلك الصفات ، ولأن الرجل فى وقت التصميم على أكبر الأعمال لا ينظر إلى صفاته أو مواهبه وما يليق وما لا يليق ، وإنما يطيع العاطفة طاعة عشواء ، وماذا كانت عاطفتى منذ دخلت مدرسة الحقوق الخديوية فى خريف أكتوبر سنة ١٩٠٧ إلى أن تقيد اسمى فى جدول المحامين فى يناير سنة ١٩١٢ ؟

كانت الخدمة العامة رائدى ومرشدى وغايتى التى أرمى عليها .

٦ - حديث مصطفى كامل :

وما دمت حيا لا أنسى حديث المرحوم مصطفى كامل باشا فى إدارة جريدة اللواء ، إذ كنت أقدم له نسخة من كتاب " تحرير مصر "[١] فى جمع حاشد من الباشوات وذلك فى ربيع سنة ١٩٠٦ قال لى بعد أن هنأنى ووعدنى بقراءة الكتاب وتقريظه فى اللواء :

- إياك والاشتغال بالسياسة دون أن يكون لك عمل ثابت ومورد رزق معروف، فإنهم فى مصر يسمون الخادم العام المتفرغ لمصلحة الوطن بالنصب والاحتيال كما يفعل الآن الشيخ على يوسف ضدى ، ولو أننى اشتغلت

---

(١) كتاب تحرير مصر ترجمة لطفى جمعه وقد أهداه إلى الشعب المصرى الكريم ونشره سنة ١٩٠٦ .

بالمحاماة ولم أنقطع لخدمة الوطن عن طريق السياسة كنت ربحت أموالاً وفيرة واحتفظت بصحتى وضمنت السعادة لأهلى وأسرتى ولكننى فضّلت المصلحة العامة على المنافع الخاصة فكانت النتيجة ما ترى !! "

٧ - امتحان المعادلة :

كان لابد للقيد فى جدول المحامين من اجتياز امتحان المعادلة ، ويحدثنا لطفى جمعه فى مذكراته عن دخول هذا الامتحان فيقول[١] :

لما عدت من فرنسا إلى أرض الوطن عرضت لى ضرورة الاستماع إلى عالم ثقة فى المواريث ، ولم يكن بينى وبين امتحان المعادلة سوى عشرة أيام فدلّنى أهل الفضل على الشيخ محمد زيد الإبيانى وكنت أقرأ كتبه وآراه ، فقصدت إليه فى داره صباح يوم جمعة فى يونيو والحر شديد والنفس ضائقة والقلب بين الرجاء وضده ، فاستقبلنى فى المنظرة فى بيته بجوار السيدة صفية ورحب بى وأكرمنى ثم قال بصوت أجش رنّان :

- خير يا محمد أفندى

فقلت له :

- أحمل إليك تحية الأستاذ إدوارد لامبير وثناءه وقوله إنه لا ينساك .

وكان لامبير قد عرف الشيخ الإبيانى أثناء نظارته على مدرسة الحقوق عام ١٩٠٦ وعرف قدره وأحبه ، فقال لى :

- أكتب له بشكره عنى .

ثم قلت :

- يا سيدنا الشيخ قصدت إليك لمراجعة المواريث .

---

(١) شاهد على العصر ، المرجع السابق ، ص ٣٠١ ، ٣٠٢ .

فقال لى :

مرحباً بك ٠

ثم صفق بيديه وطلب ورقاً وقلماً وأملى علىّ إحدى مسائل المواريث ، فلم أدر جوابها فنظر إلىّ وقال :

– إن شاء الله العام المقبل يا محمد أفندى !٠٠٠ إذا كنت لا تجيب على هذه المسألة فلا أمل لك فى النجاح هذا العام ٠

فأسقط فى يدى وقلت له :

– إن تعطيل عام يعود علىّ بخسارة كبرى ، فأرجوك أن تلقى علىّ دروسك ولا تبعة لك ٠

فقال :

– ضميرى لا يهاودنى لأننى إما أضمن نجاح تلميذى ، وإلا فلا أضيع وقتى ووقته ٠

قلت له :

– ستجدنى إن شاء الله مجتهداً

وقبل بعد جدل طويل وبدأنا وقد بهرتنى طريقته التى يحسده عليها أقدر أساتذة أوربا [١] ٠

وفى يناير سنة ١٩١٢ تقيد اسم محمد لطفى جمعه فى جدول المحامين ، فتقيد جسمه وفكره وعقله وقلبه كما يقول – بحبال من مسد أتقنت جدلها وأجادت حبكها صنعة المحاماة ٠ وقد صادف دخوله فى هذه الصنعة تأسيس نقابة المحامين ٠

---

(١) جاء فى الكتاب الذى أصدرته كلية الحقوق جامعة القاهرة بمناسبة عيدها المئوى أن محمد لطفى جمعه كان من بين ستة خريجين أدوا امتحان المعادلة سنة ١٩١١ – (الكتاب المئوى ، تاريخ الكلية وحاضرها ، ص ٢٥٢ ، سنة ١٩٨٠) ٠

٨ - فترة التدريب والتمرين :

كان على لطفى جمعه أن يتقدم إلى محامين من مشاهير الطائفة ليقضى فترة التدريب والتمرين فى مكتب أحدهم وقد كانوا كلهم أصدقاءه وقد وعدوه فى أوربا ومصر أن يتعهدوا خطواته الأولى فى هذه المهنة على ما سلف ذكره .

يقول لطفى جمعه فى مذكراته عن المحاماة :

قابلتهم الواحد إثر الواحد فاختلفوا فى حسن اللقاء والترحيب ، وتنكر معظمهم واعتذروا بأعذار واهية ، فقال أحدهم أن ليس لديه مكان أى غرفة بمكتب وأن مكتبه ضيق النطاق لا يتسع لمنضدة وكرسى فهو آسف ، وقال آخر إنه لا توجد لديه قضايا جزئية بتاتاً وكل قضاياه فى الاستئناف العالى والنقض والإبرام ، وقال ثالث إننى أستحق أن أتقاضى أجراً على عملى وهو لا يملك أن يدفع لى أجراً ، فلما قلت له إنى قابل أن أعمل بغير مقابل مدة عام ، قال لى : إن ضميره لا يسمح بتشغيلى مجانا ، وقال آخر أمهلنى يا ابنى شهرا حتى أفكر فى الموضوع وأتخذ له عدته !!

وكانت خاتمة المطاف عند المرحوم حسن صبرى بك - الذى صار فيما بعد رئيس الوزراء - فلقينى هاشا باشا إلى أن عرف غايتى من زيارته ، فلما رفض طلبى واطمأن إلى هدوئى قال لى وهو يودّعنى :

- يؤلمنى أن تنصرف دون أن تعرف حقيقة الدافع لى على الاعتذار وإنى مصارحك لعلمى بأنك لا تبتئس ولأريح ضميرى وضميرك . اعلم أن رجلا مثلك لا يقبل على معاونته كبار المحامين لأسباب أولها أنك مشهور شهرة سياسية قد تحرج موقف بعضنا ممن لا يألفون سياسة الحزب الوطنى، وثانيها أنك قد يدفعك حبّ العمل الكثير فتستدرج عملاءنا فيرغبون فيك كعادتهم فى التعلق بكل جديد ، وقد سبقت لنا تجارب فى هذا الباب فزاحمنا الذين ربّيناهم، والسبب الثالث أن أحدنا يمرن أخاه أو ابنه أو ختنه أى الرجل الذى لا يخرج عليه أو رجلا ظاهر العجز حتى إذا ما

تركه لا يفلح بعده ، فهو فى حاجة إلينا أكثر مما نحن فى حاجة إليه ، وكل من يقول لك غير ذلك فقد كذبك ، وكل من يعتذر لك بغير هـذه الحقـائق فإنما يخفى وراء اعتذاره خوفه على مصلحته وخوفه منك لظنه الكفاية فـى شخصك ولك أعمال قديمة فى الصحافة والكتابة والخطابة ، وإنى لا أقفـل مكتبى دونك فأنا مستعد أن أشير عليك أو أفتيك فـى مسـتقبل الأيـام إذا احتجت إلى ذلك من حين إلى آخر ، أما العمل المنظم والارتباط ولو بغـير مقابل فلا .

لقد عاملنى هذا الرجل الصريح الصادق معاملة الوالد والصديق فى هذه المسألة الوحيدة ولم أره بعد ذلك إلا مترافعاً فى المحاكم وقد حملت له حباً حتـى نازعت المرحوم أحمد رأفت بك وكان محاميا يتشبه بالفقهاء عندما رأيته يترافع ضد حسن صبرى بك فى قضية شخصية رفعها صبرى بك على وزارة الأوقاف مطالباً بتسوية مكافأته بعد أن كان رئيساً لقلم قضاياها ، وقد حل محلـه رأفـت فرأى من حسن اللياقة أن يقف ضد زميله فى مطالبته بحقه ولم تتورع الـوزارة فى ذلك الزمن - ولعلها كانت ما تزال ديوانا تحت إشراف أحمد شـفيق باشـا صاحب مذكراتى فى نصف قرن - لم تتورع الوزارة عـن تعريـض كرامـة الاثنين للضياع ، فكان صبرى بك ذا كرامة وعفة وأدب وعدل ، وكان رأفـت متحاملا جافياً ولعله ظن أنه إذا خسر هذه الدعوى فقد منصبه فى رياسـة قلـم القضايا ، وسمعت المرافعة كاسف البال متألما . هذه الواقعة تلت حديثـي مـع صبرى بك فحفظت له جميل إنارتي ومفاتحتى بالصدق .

٩- التمرين بمكتب المرحوم إسكندر عمون:

خرجت من مكتب حسن صبرى بك ضيق الصـدر مرتـاح الضمـير وأخذت سمتى إلى رجل سورى فاضل كان يظهر لى المـودة ، فكلمتـه فـى

الأمـــر وطلبت منه محاميا من غير هذا الطراز ، فدلنى علي مكتب المرحـــوم إسكندر عمون بك وهو رجل تشكره عظامى فى قبرها!!

لم أكن رأيته من قبل فلما رآنى أقبل علىّ إقبال الوالد الحنون علي ولـده وبذل فوق طاقته لتطمينى ولم يسألني عن سبب التجائى إليه دون الالتجاء إلـــى الفحول أهل دينى وبلدى الأصلاء الشرفاء ، ولكننى رأيـــت مـــن واجبـــى أن أصارحه بكل ما حدث بالتفصيل ، فابتسم وقال : لا عليك طال عمرك ســـتعلم الأسباب الصحيحة بعد حين .

وإننى أنتهز هذه الفرصة لأثنى عليه وعلى أهل بيته وعلى كل من كـان يمتّ إلية بصلة ، فقد عشت فى أكنافه عاما كـــاملا وهيـــأ لـــي الله أن أخدمـــه وأنفعـــه وأن أرضيه وأن أعوض عليه كرمه وأدبه وسمو نفسه ، ولكن جميـــل هذا الرجل الفاضل الشريف لا يرد بقناطير الذهب ... فإننى لم أشعر عنده يوماً بنقص فى حريتى أو رغبة فى استغلالى أو تقصيراً فى مكافأتى أو تقصيراً فـــى تعليمى وتدريبى أو رغبة فى حجبى عن خاصة عملائه أو بخساً لعملى مـــهما كان تفهاً، فضلا عن تشجيعى وتبشيرى بمستقبل حسن .

وكان هذا الرجل الفاضل رئيساً لثروت باشا أيام كان فى خدمة الحكومة المصرية فإنه وصل إلى منصب رئاسة إحدى المحاكم ، وكانت تربطه بـــثروت باشا أواصر صداقة متينة حتى إن النائب العمومى لم يكن يرد له طلبـــاً ، وقـــد حكيت له ما وقع بينى وبين ثروت باشا منذ بضعة أشهر فعجب ثم سكت .

كانت السنة الأولى فى المحاماة فى أكناف إسكندر عمون بك من أســـعد أعوام الحياة ، فقد رجانى حافظ رمضان باشا برابطة الحزبية أن أباشر قضايـــاه أمام محكمة الجنايات لأنه ظن بى خيراً فعملت له بدون مقابل لأكسب الخـــبرة ولأقيس قوتى فى محكمة عليا كانت نفسى تتوق إليها من زمن طويـــل ، وقـــد حصلت على أحكام كثيرة بالبراءة ولم أحصل على دانق ، وكان يلـــذّ لـــى أن أدرس القضايا وأحسن الدفاع فيها وأنفق من مالى ووقتى لأفوز بانتصار .

كانت هذه السنة الأولى سعيدة حقاً ، فقد تقدمت إلى المحكمة المختلطة فى قضايا كثيرة فأحببت تلك المحاكم واحترمت قضاتها ٠

١٠ - الاتفاق بين لطفى جمعه وإسكندر عمون :

ولعله من الطريف أن نورد هنا الاتفاق الذى عقده إسكندر عمون مع لطفى جمعه بشأن تمرينه فى المكتب وهذا نصه :

مصر فى ٤ يناير ١٩١٢

حضرة الزميل المحترم محمد أفندى لطفى جمعه

بكتابى هذا أثبت لحضرتكم الاتفاق الشفاهى الذى حصل بيننا وهو أن تشتغلوا بصفة محام بمكتبنا ابتداء من هذا اليوم على شرط أن يكون لكم النصف من مجموع أتعاب القضايا الجزئية التى تستجد من هذا النوع مدنية كانت أو جنائية إلا ما أتولى فيه المرافعة بنفسى من هذه القضايا ، وأن يكون لكم ثلاثة أرباع القضايا التى تقام منكم أمام المحاكم المختلطة وهو النصيب المقرر لحضرتكم تأخذونه خالصاً أى أنه لا يخصم منه شئ فى مقابل مصاريف المكتب إذ أن تلك المصاريف بأكملها علينا خاصة ما عدا الكاتب الذى تأخذونه لقضايا المحاكم المختلطة فإنه يكون على حسابكم الخاص ، ومعلوم بيننا أنه غير مفروض على حضرتكم أن تشتغلوا بشئ غير القضايا التى لكم منها فائدة ، فإذا اشتغلتم بشئ من سواها كتحضير قضايا كلية أو غير ذلك من الأعمال فإنما سيكون ذلك بدون مقابل ، كما أنه إذا ساعدناكم نحن أو غيرنا من محامى المكتب فى قضاياكم ، فذلك لا يغير من حقوقكم شيئاً وهذا الاتفاق يسرى مادمنا متفقين على العمل به ٠٠٠ " ٠

وواضح من ذلك الاتفاق أنه عقد كريم كما يقول لطفى جمعه ٠

١١- المحاكم المختلطة :

تحدث لطفى جمعه فى مذكراته عن المحاماة أمام المحـــاكم المختلطـــة فقال:

تقدمت إلى المحكمة المختلطة فى قضايا كثيرة ، فأحببت تلك المحـــاكم واحترمت قضاتها ٠ وإن بعض قضاتها ولا سيما الموسيو نيـــهولم الدنمركـــى أعدل قاض وأعطف رجل على الفلاحين المصريين ، وقد رأيته بعينى يحطـــم رؤس المرابين من اليونان الذين امتصوا معظم دماء هذه الأمة ، أى حطم رؤس أموالهم وكسر شوكتهم ودمغهم بأحكام عادلة بلغت أســـباب بعضـــها ســـبعين صفحة، وقد سمعت الحوار الآتى بينه وبين مرابٍ كبير :

الرومى : أنا غنى جداً ! أنا عندى مائة ألف جنيه ٠ أنا لا أسرق هذا الفـــلاح الفقير ٠

نيهولم : اسكت يا خريستو وإلا أمرت بإخراجك ٠

الرومى : أنا مس ممكن أكون خرامى (كذا) أنا رجل سريف (شريف) أنـــا عندى ماية ألف جنيه ٠

نيهولم : لقد جمعت هذه الثروة من مجهود هذا الرجل وأمثاله وهـــذه وقـــائع القضية تثبت ذلك ٠

وصمت الرومى ولم يجب بشئ ٠

ولكن الاستمرار فى العمل أمام المحاكم المختلطة والمحاكم الأهلية كـــان مستحيلا لأن الأولى تقتضى أن تلازمها طول أيـــامك وتنقطـــع لـــها وإنـــهما كالضرتين ، ولكن الضرة الأهلية تسمح لك بقضاء أعمالك فى ســـعة وفســـحة مـــن الوقت ، أما الضرة الثانية فشديدة الغيرة ، ثم إنها أوفى وأرحب للأجـــانب وكل متقاض لديها يقصد إلى بنى جلدته حتى المصريين يحسنون الظن بالأجانب لظنهم أنهم يتقنون التفاهم مع القضاة بلغتهم أحسن مما يصنع المصريون وهـــذا وهم ولاشك فيه ، ولكن الحق أن أقدامنا لا تثبت هناك حتى ولو كان أحدنا

COUR D'APPEL MIXTE
D'ALEXANDRIE

Cabinet du Président

Alexandrie, le 17 Décembre 1910

Monsieur l'Avocat,

Nous venons de recevoir avis de l'envoi de votre part d'une lettre assurée pour une somme de L...10, que nous n'avons pu accepter. S'il s'agit, comme je pense, des droits d'inscription pour votre admission au tableau, nous vous saurions gré de vouloir bien nous le faire parvenir soit en un reçu de M.l'Avocat ...filche, trésorier de l'ordre, soit en un mandat-poste de L...10 que, pour vous être agréable, nous ferons verser nous-même au trésorier de l'Ordre.

Agréez, Monsieur l'Avocat, l'assurance de ma considération très distinguée.

Le Secrétaire,

Luigi Bugini

Me Mohamed Mutfi Gomaa
6, place de l'Opéra
Caire.

خطاب من محكمة الاستئناف المختلطة بالإسكندرية بتاريخ ١٩١٠/١٢/١٧ يفيد دفع لطفى جمعه رسم قيده بجدول المحامين المختلطة

COUR D'APPEL
MIXTE

CABINET DU PRÉSIDENT

An: XXX V°

N° 817

Alexandrie le 5 Février 19 11.

Monsieur l'Avocat,

J'ai l'honneur de vous faire savoir que par décision de la Commission du tableau des Avocats en date du 31 Janvier dernier, vous avez été, en conformité de l'art. 183 du Règlement Général Judiciaire, admis à faire votre stage et inscrit à la suite du tableau.

Je vous retourne sous ce pli votre diplôme et la quittance des droits d'inscription.

Agréez, Monsieur l'Avocat, l'assurance de ma considération distinguée.

Le Président,

Monsieur LOUTFI GOKAA

avocat

Kenchien El Sadr Section Wayli

LE CAIRE.

خطاب من محكمة الاستئناف المختلطة بالإسكندرية فى ١٩١١/٢/٥
بقيد اسم لطفى جمعه محامياً أمامها

قاضياً سابقاً بتلك المحاكم كالمرحوم إسماعيل الشيمى بك أو ذا مكانة عالية فى اللغات كالمرحومين عمر وأحمد بك لطفى ، ولذا لم أحاول أن أتعلق بأهدافها طويلا ولم يرد إلىّ إلا مظاليم الفلاحين المنهوكين بعد أن خسروا كل قضاياهم يحملون إلىَّ أكداساً من الأوراق التى لا يتبيّنها إلا خريج مدرسة الوثائق التاريخية !! فلا أجدها بعد العناء الطويل تجدى نفعاً أو تعود على صاحبها بثمرة ، فكان مجهودى معهم ضائعاً ، وقد بليت برجل ضرير تركى الأصل ملحّ ملحف ثرثار ينتمى بالرغم من تركيته أو شركسيته إلى دولة أجنبية ، وكان يقاضى وقفا كبيرا فواصلت له العمل أعواماً رأيت فيها المتاعب ألواناً وانتهى بصلح مُنفرد لم يطلعنى عليه كشرط خصومه ، فكانت هذه القضية آخر عهدى بتلك المحاكم .

١٢ - اتخاذ مكتب للمحاماة :

وبعد أن أمضى لطفى جمعه فترة التمرين اتخذ لنفسه مكتبا للمحاماة بشارع محمد على برقم ١٥٢ بوقف السيد محمد شريف باشا الكبير ، وقبل للمرافعة أمام محكمة الاستئناف العليا فى ٤ مايو سنة ١٩١٥ ، وقيد اسمه بجدول المحامين المقبولين أمام محكمة النقض فى مارس سنة ١٩٣٥ ، وظل يزاول المحاماة بهذا المكتب إلى أن تركه فى مارس سنة ١٩٣٨ ولم يتخذ بعد ذلك مكتبا وإن ظل يزاول المهنة فى منزله حتى طلب إحالته إلى المعاش فى مارس سنة ١٩٤٨ بعد أن بلغ الثانية والستين من عمره ، وبعد أن قضى ستة وثلاثين عاماً بذل فيها " جهوداً رجا أن تكون مقبولة عند الله سبحانه وتعالى وموضع رضا كل من اتصل بهم من زملائه " كما جاء فى خطابه إلى نقيب المحامين " يطلب إحالته إلى المعاش .

عقد ايجار

بين ناظرة وقف المرحوم محمد شريف باشا الكبير حضرة السيدة خديجة ... هانم

طرف أول

وبين حضرة محمد لطفى جمعه المحامى ——— المتخذ له محلا مختارا بعمارة الشقة نمرة ٦ ... المذكوره بعد

———— طرف ثان

قد حصل الرضا والاتفاق على ما يأتى

اولاً ان وقف المرحوم محمد شريف باشا الكبير مؤجر الى حضرة محمد لطفى جمعه المحامى ...
القابل بذلك الشقة نمرة ٦ من عمارة الوقف بشارع محمد على المحدوده بحارة ... بشارع ... ومن غرب ...
... ومن بحرى كذلك ومن قبلى حارة ... ————
وقد عاينه المستأجر معاينة تامة وتعهد باستعماله مكتبا للمحاماة خاصة ———— ليس الا والمستأجر
ممنوع كلية من ان يستعمله لشيء ما غير ذلك

ثانياً قيمة الايجار المبينة لمدة سنة عربية مبلغ ٤٨ ثمانية واربعين جنيها مصريا باعتبار اجرة الشهر اربعة جنيهات مصريه ———— تدفع كل شهر ...... مقدما
بمحل الوقف بمصر المعروف للمستأجر بمقتضى ايصالات تكون المستند الوحيد على الدفع

ثالثاً مدة هذا الايجار سنة واحدة عربية ابتداء من اول يوم ١٣٣٥ الموافق ٢٠ ... سنة ١٩١٦ ....
لغاية آخر شهر ... سنة ١٣٣٥ خمسة وثلاثين هجرية بشرط ان لم يعلن أحد الطرفين الطرف الآخر قبل نهاية
مدة الايجار بشهرين اعلانا قانونيا بعدم رغبته في تجديد الايجار يستمر العقد بذات الشروط الموضحة به لمدة سنه عربية
اخرى وان لم يعلن أحد الطرفين الطرف الآخر بعدم رغبته في تجديد الايجار قبل نهاية المدة الثانية بشهرين يستمر العقد
بذات الشروط الموضحة به لمدة سنه ثالثه عربيه وبعد ذلك ينتهي الايجار بدون اعلان بفسخ هذا الايجار وعندئذ
يلزم المستأجر ان يسلم المحل المؤجر له بدون ان يتعلل باتفاق شفاهي أو ضمني لاستمرار العقد ومتى صار الاعلان بالاخلا
يجب على المستأجر ابتداء من تاريخ الاعلان أن يسمح لكل من اراد معاينة المحل المؤجر له من الساعة الثالثة الى السادسة
مساء من كل يوم بالمعاينة وبوضع الاعلانات في المحلات التي يشير بها الوقف

رابعاً يجب على المستأجر أن يضع فى المحل المؤجر له أمتعة كافية لتكون كفالة فى تنفيذ شروط هذا العقد

خامساً على المستأجر أن يراعى المحل المؤجر له كما يراعى كل انسان عاقل خاصة نفسه وان يستعمله للغاية المصرح له بها فى هذا العقد

صورة عقد إيجار مؤرخ ١٩١٦/١٠/٢٣ باستئجار لطفى جمعه من وقف المرحوم محمد شريف باشا الكبير مكتباً للمحاماة فى الشقة نمرة ٦ بعمارة الوقف بشارع محمد على

محكمة مصر الأهلية
محاكم استئناف

COURT OF APPEAL,
CAIRO.

نمرة صحيفة جزء بخصوص قبوله للمرافعة أمام محكمة الاستئناف العليا

حضرة المحترم محمد لطفي جمعه افندي المحامي بمصر

أخبر حضرتكم انه بناء على المادتين السابعة والعاشرة من لائحة قبول المحامين قد قررت الجمعية المنعقدة بمراى محكمة الاستئناف الاهلية في يوم الوحد ٩ مايو سنة ١٩١٥ (١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٣٣) قبول حضرتكم للمرافعة أمام محكمة الاستئناف العليا وعنا لحضرتكم اخطارا بذلك ٤

القاهرة في ١٢ مايو سنة ١٩١٥

الكاتب

٧٦٦

خطاب من محكمة استئناف مصر الأهلية في ١٩١٥/٥/١٢ بقبول لطفي جمعه للمرافعة أمام محكمة الاستئناف العليا

محكمة النقض والإبرام

مكتب الرئيس

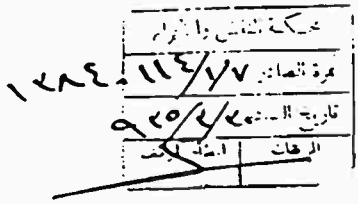

حضرة الاستاذ محمد لطفى جمعه افندى المحامى

أتشرف باخبار حضرتكم بأن الجمعية العمومية للمحكمة قررت بجلستها المنعقدة فى يوم الخميس ١٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٣ الموافق ٢١ مارس سنة ١٩٣٥ قيد اسم حضرتكم بجدول المحامين المقبولين أمام محكمة النقض والابرام.

وتفضلوا بقبول عظيم احترامى ،

تحريرا فى ٢١ مارس سنة ١٩٣٥

رئيس
بمحكمة النقض والابرام

م.ن./٤٢٧/١٩٣٥/٢٠٠

خطاب من محكمة النقض والإبرام فى ١٩٣٥/٣/٣٠ بقيد اسم لطفى جمعه بجدول المحامين المقبولين أمام المحكمة

نمرة .....

نقابة المحامين

أمام المحاكم الوطنية
سكرتارية المجلس

مصر في ١٦/٦/ سنة ١٩٤٨

حضرة الزميل الفاضل الاستاذ محمد لطفي جمعه المحامي

بعد التحية — نظرت لجنة صندوق المعاشات والاعانات بجلستها المنعقدة بتاريخ ١٢ يونيو سنة ١٩٤٨ في طلب انعماش المقدم من حضرتكم وقررت قبوله - وسألتكم ظهنا للقانون .

لذلك نوجه نظر حضرتكم الى ان المادة ٩٩ من قانون المحاماه رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٤ — ونوجو اخطارنا بتاريخ تصفية اعمال مكتبكم حتى يربط المعاش لحضرتكم ابتداء من اول الشهر التالي لهذا التاريخ .

وتفضلوا بقبول واقر الاحترام ،

نقيب المحامين

غالي .

خطاب نقابة المحامين في ١٩٤٨/٦/١٦ بقبول طلب نطفي جمعه إحالته للمعاش

محكمة استئناف مصر

لجنة قبول المحامين

حضرة المحترم الاستاذ محمد المصفى صبحه افندى

قررت لجنة قبول المحامين بالمحكمة بجلستها التى عقدت يوم ١٩ اكتوبر سنة ١٩٤٨ تنفيذا للمادة ٩٦ من قانون المحاماه نقل اسم مصر تكم من جدول المحامين المشتغلين الى جدول غير المشتغلين .

فنبلغ حضرتكم ذلك .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ؛

القاهرة فى ٨ محرم سنة ١٣٦٨ رئيس المحكمة

٩ نوفمبر سنة ١٩٤٨

خطاب محكمة استئناف مصر (لجنة قبول المحامين) بتاريخ ١٩٤٨/١١/٩
يتضمن قرار اللجنة فى ١٩٤٨/١٠/١٩ بنقل اسم لطفى جمعه
من جدول المشتغلين إلى جدول غير المشتغلين

١٣ - محنة مكتب الصحافة [١] :

والواقع أن لطفى جمعه لم يبغض شيئا كبغضه الوظيفة وقيودهـــا ولـــم يحب شيئاً كحبه لصنعة المحاماة كما كان يجب أن يسميها ٠

وبهذه المناسبة نذكر أنه حدث أن عرض عليه المرحوم أحمد ماهر باشا سنة ١٩٤٤ وظيفة مدير مكتب الصحافة بمجلس الوزراء فقابله بمكتبه وقال له :

- إننى لم أجئ لأجل وظيفة أو مرتب بل جئت لأنك طلبت منى مســاعدة ونويت أن أرفض أى مرتب بل أعمل تطوعا المدة التى تريدها بشرط ترشيحى للانتخابات بمجلس النواب عن دائرة مصر الجديدة ٠

وأعاد نفس الحديث على المرحوم محمود فهمى النقراشى كما أعـــرب عن ذلك لإبراهيم عبد الهادى ، وعندما استبانت حقيقة الموقف وظهرت النوايـــا وعدم الرغبة فى ترشيحه عن دائرة مصر الجديدة ووضحـــت لـــه المراوغـــة والتسويف والمماطلة بادر إلى تقديم استقالته ٠

وهكذا لم يمكث بهذه الوظيفة التى كان يسميها " محنة مكتب الصحافـــة" سوى أيام معدودات رفض أن يتقاضى عنها أى مرتب لأنه - كما يقـــول - لا يستحل مال الدولة ، وكتب إلى أحمد ماهر خطابا فى ٤ نوفمبر سنة ١٩٤٦ جاء فيه :

" أتشرف بالاستفهام المتواضع عن سبب إقصائى عـــن أمنيتـــى وهـــى استمرار خدمة وطنى عن طريق البرلمان وقد خدمت وطنى من سنة ١٩٠٥ أى منذ أربعين عاما ٠ ولم ألتمس نفعا لشخصى ولا مطلباً مادياً طوال هذه الأعوام وعملت بقلمى ولسانى وقلبى فى قضية الوطن معك ومن سنة ١٩٣٨ إلى وقـــت مجيئك إلى الحكم ، وجدير بقلبك الكريم وعقلك الســـامى وخلقـــك الممتـــاز أن تنبهنى إلى عيوبى التى أدت إلى القضاء على غايتى وتتويج حياتى لأصلحـــــها

---

(١) انظر تفصيل ذلك ، مذكرات لطفى جمعه ، المرجع السابق ، ص ٢٧٦ - ٢٩٦ ٠

وأعدلها وأختم عمرى ختاماً حسناً ، لقد لبيّتُ دعوتك ونزلت حومة ذلك الميدان الغريب عن فطرتى وطبعى واستعدادى نزولاً على إرادتك ، ولم ألبث أن باشرت العمل فى ذلك المنصب حتى أحسست أن روحى تتألم وقلبى يتأثر وكرامتى تنهار وخاطرى ينكسر ، كرامة العلم والأدب والماضى الحافل بالجهاد والطلب وخدمة الوطن والدين ونصرة الحق ، وتلك العزة التى جعلها الله لذاته ولنبيه والمؤمنين التى ما فتئت أدافع عنها وأنافح فى سبيلها وأتألم للاحتفاظ بها وهى جزء من دينى وشطر من يقنيى وبضعة من كيانى وغذاء ونور وأمان وثراء إذا عز الغذاء أو ضعف النور أو تزعزع الأمان أو قل الثراء ، بل صوت أسمعه يؤنسنى ويشد أزرى وقد صحبت هذه العزّة كالروح الأمين منذ وعيت وأدركت حقائق الأشياء ، وليس بالهين أن أنتحى أو أتخلى ، وإن الردّة (يقصد الانفصال عن الحزب السعدى والعودة إلى الحزب الوطنى) - أسهل من التفريط فى الكرامة ... فهل تعلمت وقرأت وسهرت وكتبت وخطبت وتألمت وأملّت عبثاً ولهواً طوال أربعين عاما ، أو قطعت هذه المراحل الجليلة النبيلة لترمى بى الأحداث على كاهل صخرة جرداء مجدبة ؟ وهل قضيت السنين قابضاً بيدى على جذوة من جمر لأرسب فى النهاية رسوب الحجر فى سقر !! حاشا الله ومعاذ الله وأستغفر الله وأتوب إليه " .

وبعد أن قدم لطفى جمعه استقالته من رئاسة مكتب الصحافة بمجلس الوزراء كتب فى مذكراته يقول " كيف أترك المحاماة وهى أم رؤم أعاننى الله عليها وجعلها رزقاً لى ومرتعاً ومظهراً لمواهبى أكثر من ثلاثين عاما لأنزوى وأنطوى فى أحد أركان بؤرة ، وأترك الحياة الحرة والاتصال بذوى العقول والفصاحة والقضاة والمحامين الذين يعتبروننى رئيساً لهم جميعا ؟ أين المودة والرحمة والود والوفاء وقد قضيت حياتى أنادى بالحرية والحق والاعتماد على

الله سبحانه وتعالى دون سواه فالجأ فى هذه السن إلى هذا !! معاذ الله تبتُ إلى الله وعزمت ألا أعود والحمد لله من قبل ومن بعد " [١] .

١٤ - صنعة المحاماة :

وهكذا عاد لطفى جمعه إلى أحضان المحاماة التى أحبها من كل جوارحه وأخلص لها الإخلاص كله ، ووهبها من جهده وعرقه ووقته وفنه وفصاحة لسانه وحضور بديهته وسرعة خاطره وذكاء نكتته وسعة علمه واطلاعه وقوة حجته ورباطة جأشه فى أشد الأوقات حرجا - الشئ الكثير .

لقد كان لطفى جمعه يعتبر المحاماة " صنعة " ولا يحب أن يدعوها مهنة ويقول إنها " تشبه الغانية وتزيد أنها تفتن الراغب فيها وتخدعه ولا تزال تغريه بذاته حتى تتملكه وتلتف حوله وتستأثر به وتتسلم زمامه وتعتلى كاهله وتقبض على عنقه وتنشب أظفارها فى صدره وتخلب لبه وتسحر عقله فيحس بعد بضع سنين وهو لا يستطيع الإفلات من براثنها ولا يفكر فى الخلاص من قيودها ثم يعود من الاستسلام لها بحيث لا يقدر على محاولة النجاة مما وقع فيه باختياره. ولكن لهذه الغانية فضيلة واحدة تستطيع أن تمتنّ بها على عشيقها وأسيرها ، وهذه الفضيلة - إن صح أن يسمى ما أقصده فضيلة - هى أن تحفظ له مظهره وقد تزيده بهاء ورواء ونضرة فيظن الناظر إلى صاحب تلك الصنعة أنه سعيد وغنى ومستقل فى حياته وفكره وعمله ومتمتع بحريته تمتعا تاما وأنه سيد نفسه (كما تقول الدهماء والعامة حر نفسه) ، وأن ليس لأحد عليه سلطان ولا سبيل[٢]، ويظهر أن هذا المظهر خداع للدرجة القصوى حتى أن رئيس

---

(١) شاهد على العصر ، ج ٢ ، المرجع السابق ، ص ٢٨٦ .

(٢) أشار الأستاذ أحمد حسن شنن المحامى ونقيب المحامين بالقاهرة (يونيو ١٩٧٦ - ديسمبر ١٩٩٠) إلى بعض هذه المعانى فى كتابه " عظمة المحاماة " ، سلسلة أقرأ ، رقم ٥٦٦ ، سنة ١٩٩١ .

مجلس النواب الأستاذ ويصا واصف وهو من أمجاد أبناء هذه الصنعة قال فـــى حفلة تكريم الأساتذة الذين صاروا وزراء (إبريل سنة ١٩٣٨) : إن المحـــامى ملك عظيم لأنه لا يقدم حساباً لأحد إلا لله ولضميره ٠

صحيح ويجوز أن يكون فى هذا التمثيل شبه حق ، ويجوز أن يشـــعر محام بهذا الشعور الجميل السامى ولكن فى الندرى - مرة فى العمر - وهـــذه المرة لا تتجاوز برهة قصيرة ولا يدرى أحد مقدار الآلام التى يقاســـيها ذلـك المحامى للوصول إلى هذه الدرجة من الرفعة المعنوية الخيالية ٠

صحيح لقد أراد الأستاذ الحصيف رئيس مجلـــس النـــواب وهـــو مـــن القدمـــاء فى الصنعة أن يضرب المثل الأعلى ليخفف على أصحابه ويرفّه عنهم بهذا التشبيه الجميل الذى يقع فى عالم الحقيقة مرة فى العمر ، فقال إن المحـلمى ملك لا رقيب عليه سوى الله وضميره ٠ وجميل من ويصا واصف وخليق بـــه حقا أن يصور لنا الصنعة فى هذا الثوب الروحانى الخلاب ليبقى الأمل حيّاً فـــى قلوب أصحابها وليحتفظ بكرامتها وحسن سمعتها فى نظر الخارجين عنها الذيـن يسميهم الإفرنج Profane وهو كل من لا علاقة له بالأسرار المقدسة "٠